



المحاضرة الثالثة:

الحياة السياسية والتحولات العقائدية في اليمن

نشأت في اليمن دول ومراكز حضارية عريقة تركت أثراً واضحاً في الجانب التاريخي، ومن أهم هذه الدول:

أولاً: دولة معين (قرنو)

تقع بين نجران وحضرموت إلى الشمال الشرقي من مدينة صنعاء، واتسمت حياتها السياسية بخصائص متعددة منها:

١. طبيعة الحكم فيها ملكي وراثي.
٢. صفة الملك تُطلق في بعض الأحيان على أقرباء الملك كإخوانه وأبنائه وهذا يدل على أن الملك كان يستعين بهم في إدارة دولته.
٣. الصبغة الدينية طغت على الملوك والحكام إذ لُقّب ملوك معين بـ "مزود" ومعناه المقدس، وهذا يعني أن الملوك قد استمدوا سلطاتهم من الآلهة ضمن واجبهم خدمة المعبد، إلا أنهم لكثرة أعمالهم تركوا إدارة المعبد لكهنة متفرغين لهذه المهمة وانصرفوا لممارسة السياسة والحكم فغدوا ملوكاً.
٤. كان للشورى حيز في الحياة السياسية في دولة معين، فكانوا يستعينون بالكهنة والملوك وزعماء العشائر، وكان لديهم مجالس للبت في الأمور السياسية والعسكرية والأمور التي تخص الدولة وعرفت هذه المجالس بـ (مجالس الشورى).
٥. نظام الحكم في معين اتبع فيه أسلوب الإدارة اللامركزية في البلاد؛ فلكل مدينة حكومتها ومعبدها ومستشارها ومرتبطين بممثل الملك والذي كان من أبرز أعمالهم جباية الضرائب واستغلال الأراضي لبناء المعابد أو الأبراج وتقديم النذور والقربان.
٦. أما فيما يخص الناحية الاقتصادية، فقد اعتمد المعينيون على نظام المقايضة كقاعدة عامة في التعامل لعدم شيوع استعمال النقود في ذلك الوقت، إلا أنهم أخذوا يتعاملون بالنقود إلى جانب تبادل البضائع عن المقايضة.



ثانياً: دولة قنبان (هجر كحلان)

تقع قنبان في القسم الغربي من العربية الجنوبية في وادي بيحان، وقد مر نظامها السياسي
بمرحلتين هما :

❖ **المرحلة الأولى:** تمثلت بحكم الكهنة ويسمون باسم "مكرب" أي الشخص المقرب من
الآلهة والشفيع إليها والواسطة بينها وبين الإنسان.

❖ **المرحلة الثانية:** في هذه المرحلة بدأ الحكم يفقد طابعه الديني، ويأخذ منحى دنيوياً
بسبب تطور البنية الاقتصادية والاجتماعية، أي مرحلة انتقال من النظام الديني إلى
النظام الدنيوي.

لقد اعتمد نظام الحكم على الشورى ورجوع الحاكم إلى المجالس التي تمثل الشعب قبل اتخاذ
القرارات. وكان يشترك في هذه المجالس كبار الملاك والشيخوخ للنظر في الأمور التي تخص
السياسة الداخلية والخارجية، وعرفت هذه المجالس باسم "مجلس القبائل". إلى جانب هذا المجلس
هناك مجلس آخر عرف باسم "المجلس الاستشاري" يتألف من بعض الأشراف وكبار الملاك
والموظفين وينعقد بدعوة من الملك الذي يتولى رئاسته عادة، ومن صلاحيته الإشراف على
تطبيق القوانين السارية المفعول وإصدار القوانين، كما كان من حق هذا المجلس إصدار العفو
عن المحكوم عليهم كلياً أو جزئياً. وبذلك حققت قنبان إنجازاً كبيراً جعلها تقترب من مفهوم
الدولة القانونية القائمة على القانون والمؤسسات بدلاً من سيادة وحكم الفرد الذي كان شائعاً في
العصور القديمة والوسيطه.

ثالثاً: دولة حضرموت (شبوّة)

إن الظروف الاقتصادية والسياسية قد جعلت من المحتم قيام تشابه كبير بين أنظمة الحكم في
دول اليمن بحكم تشابه البيئة والظروف وعوامل التأثير والتأثير، لذا فإن جميع الدول (معين،
قنبان، حضرموت، سبأ) قد تدرجت في تطورها السياسي من نظام الحكم الثيوقراطي (الديني)
والذي يقوم على حكم الكهنة (المكارب) إلى حكم دنيوي يستند على حكم الملوك. وهو الذي
حصل في حضرموت حيث انتقل الحكم من الصبغة الدينية إلى الصبغة الملكية، إلا أن هذا



الانتقال لم ينزع الصفة الدينية بصورة تامة عن الملوك؛ فالى عصر الانتقال من الحكم الديني إلى الدنيوي وقيام الملكية ترجع الصيغ الرسمية للألفاظ الآتية (الله، حاكم، الشعب). ولطبيعة الملكية الإقطاعية التي ركزت ملكية الأراضي الزراعية بيد الملك والأشراف ورؤساء القبائل، فإن الملك في حضرموت وبقية دول الجنوب العربي لم يستطع أن ينفرد وحده بممارسة السلطة، بل أشرك معه ممثلين عن هذه الفئات في ممارساتها بتشكيل بعض المجالس الاستشارية الخاصة بذلك.

لذلك ذكرت الروايات التاريخية أنه على الرغم من أن الملك في حضرموت يستمد قوته من حقه المقدس، فإنه يحكم مملكته حكماً دستورياً؛ فالى جانبه كان هناك مجلس عام، كما أن المدن التابعة له كانت تحكمها حكومات محلية تشبه نظام العمد في مصر، وكان هؤلاء العمد يعينون بالانتخاب ويعاونهم مجلس من شيوخ المدينة.

التحول العائدية في اليمن:

في أواخر القرن الرابع الميلادي بدأ أهل اليمن وخاصة ملوك سبأ يعرضون عن التقرب إلى إله القمر (المقة) وبدأوا يتقربون إلى الإله (ذي سموي) أي رب السموات، وهذا يدل على أن عقيدة التوحيد أخذت تنتشر بينهم. ويرجع ذلك إلى أن القيصر قسطنطين الثاني (حاكم الروم) كان قد أرسل ثيموفيلوس الذي تمكن من إقناع ملك حمير بالدخول في النصرانية، فدان بها وأمر ببناء كنائس في ظفار وفي عدن.

إلا أن توجه ملوك اليمن نحو التوحيد أو عبادة رب السموات لا يدل بالضرورة على أنهم اعتنقوا النصرانية؛ فقد يكونون قد تحولوا عن الوثنية إلى التوحيد تحت تأثير اليهودية أو النصرانية أو غيرها وأخذوا يدينون بعقيدة خاصة بهم، وهي عبادة الإله ذي سموي (رب السموات). فالوصول إلى رأي حاسم في هذه المسألة يحتاج إلى العثور على نقوش كتابية في هذا المجال. ويبدو أن التحول في العقيدة من الوثنية القائمة على عبادة آلهة متعددة إلى التوحيد، فضلاً عن بدء انتشار الديانتين اليهودية والنصرانية في البلاد العربية الجنوبية، قد أدت إلى



ظهور انقسامات في المجتمع، وكان لهذه الانقسامات أثرها الواضح على الأسر الحاكمة في هذه البلاد.

وقد لاحظ العلماء أنه بعد عام ٤٥٥م ندخل في فترة غموض تاريخي نتيجة لنقص المعلومات وهي فترة تقرب من ستين سنة، ولم تصل إلينا من هذه الفترة سوى ألقاب لبعض الملوك دون ذكر أعمالهم حتى نصل إلى عهد ملك لا يحمل سوى لقب ويتجه لمقاتلة الأحباش في ظفار ونجران، وقد دُعي هذا الملك في نقوش المسند (يوسف أسار) والذي عرف في التاريخ باسم "يوسف ذو نواس".

ويبدو أن الصراع الديني كان قد بلغ ذروته في أرض الجنوب العربي قبل تولي يوسف أسار الحكم، وقد كان للأحباش دور بارز في توجيه هذا الصراع من خلال وقوفهم إلى جانب النصارى وتشجيعهم ضد اتباع الديانتين العربية القديمة واليهودية، وذلك لاعتبارات سياسية واقتصادية بالدرجة الأولى؛ حيث كانوا يتطلعون هم وحلفائهم الروم للاستيلاء على طريق التجارة الذي يمر ببلاد اليمن، فضلاً عن الاستفادة من موقع العربية الجنوبية المطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي في الصراع ضد الإمبراطورية الساسانية. ومن ثم فقد استغل الأحباش مناصرتهم للمسيحية في الجنوب العربي فتدخلوا في الشؤون الداخلية لليمن، ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا قوات احتلت منطقة ظفار وباب المندب. وهكذا نلاحظ أن الصراع بين الملك يوسف أسار والأحباش كان صراعاً قومياً في جوهره اتخذ مظهراً دينياً.

تولى يوسف أسار الملك حوالي سنة ٥١٦م إثر فتنة كبيرة حدثت في اليمن، وقد مهدت هذه الفتنة الطريق للأحباش أن يدخلوا اليمن ويحتلوا بعض أجزائه. فما كان من يوسف أسار إلا محاربتهم وقاتلهم وانتصر عليهم في ظفار، ونكل بهم شدة قتلاً وإحراقاً للكنائس وخاصة في نجران، وهو ما ذكرته المصادر المسيحية والإسلامية من أن ذي نواس كان قد اعتنق اليهودية في يثرب، فحملة يهود يثرب على غزو نجران لاختبار من بها من النصارى، وقد أخذوا النصرانية من رجل من آل جفنة ملوك الشام، فسار من هناك إليهم وعرضهم على أخايد احتقرها في الأرض وأضرمها نيراناً فكان يحرق فيها من أقام على النصرانية، فأتى بهذا الصنيع على خلق كثير منهم.



يبدو مما تقدم أن اعتناق ذي نواس لليهودية والتتكيل بالنصارى كان هو الدافع على ما قام به من أعمال، وهو أمر غير مستبعد بالنظر لما تعرض له اليهود من اضطهاد على يد الرومان في القدس. ولكن كان يقف إلى جانب هذا العامل عامل الشعور القومي؛ وذلك لأن ذي نواس قد نظر إلى نصارى اليمن وكأنهم عملاء للأحباش بسبب ما شاهده من تعاون بينهم. وإن مما يرجح هذا العامل أنه لم يُنقل عن ذي نواس أية أعمال اضطهاد ضد الوثنيين من أبناء قومه على الرغم من شدة التناقض بين اليهودية والوثنية.

وقد أثار اضطهاد ذي نواس للنصارى إمبراطور بيزنطة جستنيان الأول، فوجه رسالة إلى النجاشي كالب (أو الأصبحة) يحثه على إنقاذ النصارى (إخوة العقيدة)، ولم يكتف بذلك بل أمدّه بأسطول روماني شارك في حمل القوات الحبشية إلى سواحل اليمن. وقد تمكن الأحباش بعد حرب طويلة من قتل الملك الحميري ذي نواس والسيطرة على اليمن، وهو ما ذكرته الروايات التاريخية. أما الإخباريون العرب فإنهم يذكرون أن ذي نواس لما غلب في قتال الحبشة على ساحل البحر قام باقتحام البحر بفرسه فغرق. ولم يأت اهتمام الإمبراطور البيزنطي بأمور اليمن خالصاً لوجه العقيدة، وإنما كان من أجل حماية مصالح دولته التجارية التي تعرضت للخطر من جراء الموقف العدائي للملك ذي نواس.

وبذلك دخلت بلاد اليمن عهد السيطرة الحبشية النصرانية وأصبحت تابعة لمملكة أكسوم الحبشية، وعانت ما عانت من ظلم واضطهاد واستبداد خاصة في عهد أبرهة وأولاده، مما اضطر أحد زعماء العرب والذي يدعى سيف بن ذي يزن إلى أن يتجه إلى الفرس طالباً المساعدة منهم على محاربة الأحباش، فأنجدوه بقوة عسكرية كان لها الأثر في رفع معنويات أهل اليمن في القضاء على حكم الأحباش، وكان ذلك حوالي عام ٥٧٥م. وبذلك تخلص أهل اليمن من حكم الأحباش ليفسحوا المجال لحكم الفرس ونفوذهم. وهناك من يرى من الباحثين أن حكم الفرس لليمن لم يكن حكماً فعلياً واقعياً؛ فلم يكن ولاتها يحكمون اليمن كلها وإنما اقتصر حكمهم على صنعاء وما والاها، أما المواضع الأخرى فكان حكمها لأبناء الملوك من بقايا الأسر المالكة للأقبال والأنداء.